أريـوس

فى عام ٢٥٦م.. ولد أريوس أموفيوس.. فى قورينا «ليبيا» الآن، عاش أريوس ثمانين عاما.. تنقل فيها مابين البلدان.. قرأ .. ودرس.. وتعلم وعلم.. كان فصيحا.. منطلق اللسان.. بليغا.. قادرا على التأثير فيمن حوله، صاغ أفكاره على هيئة أبيات شعرية.. استمع إليها الكبار والصغار.. العامة والخاصة.. خاض حروبا هائلة من أجل إثبات صحة عقيدة التوحيد المسيحى التى آمن بها واعتنقها مخالفا بذلك قواعد الإيمان المسيحى التى تؤمن بالتثليث «الأب، الابن، الروح القدس».

نشر أريوس أفكاره التى قال فيها إن المسيح عيسى ابن مريم إنسان مخلوق وليس بإله.. وهو لايشارك الله طبيعته وهو من جوهر آخر وإن كان المسيح مخلوقا فهو ليس كسائر المخلوقات لأن الله خلقه بواسطته.

عاشت أفكار أريوس عشرات السنين وتفرق أتباعه مابين البلدان وانتشروا فى مصر وسوريا وفلسطين وأنطاكية وأسبانيا وألمانيا، وخاض الجميع معارك طاحنة مابين التمسك بالعقيدة المسيحية التى كان يحارب من أجلها أساقفة الإسكندرية ومابين ما آمن به أريوس من عقيدة التوحيد المسيحى والتى سبقه إليها العديد من المفكرين الذين أطلقت عليهم الكنيسة «الهراطقة».

عانى المسيحيون صنوفا مختلفة من العذاب بعد المسيح عليه السلام أمام سطوة الحكام والقياصرة الرومانيين الذين كانوا ينزلون بمن اتبع المسيحية أهوالا من العذاب.. محاولين صد حركة الإيمان التى كانت تهدد سلطتهم السياسية وأوثانهم التى كانت وسيلتهم للسيطرة على مقدرات بشر لم يعرفوا إلها سوى أوثان القياصرة وطغيانهم.

وفى وقت اضطربت فيه الصراعات والخلافات الدينية بين أتباع المسيحية

الذين كانوا يناضلون وخاصة فى بلاد الشرق فى الاحتفاظ بإيمانهم كان الصراع على أشده بين المتنازعين على الحكم فى الدولة الرومانية حتى استطاع قسطنطين التخلص من أعدائه بعد أن اعتنق المسيحية.. أو ادعى اعتناقه المسيحية ومنح المسيحيين الأمان.. وأعاد إليهم أملاكهم وحررهم من العبودية ودعا رعاياه لأن يتبعوه فى اعتناق المسيحية.

وبدأت الكنائس المسيحية تشعر ببعض الاستقرار وتصبح من أغنى الهيئات الدينية فى الإمبراطورية وإن كان ارتبط بها زيادة الخلافات الدينية حول المسيح وطبيعته مما جعل دعوة أريوس عام ٣١٨م ببشرية المسيح ووحدانية الله تحدث ضجيجا هائلا خاصة بعد أن انتشرت دعوته وذاع صيته بعد أن استغل موقعه كواعظ وشماس فى كنيسة بوكاليس فى الإسكندرية.

رغم أن دعوة أريوس التى ترتبت عليها أحداث شديدة الأهمية كان لها تأثير هائل فيما بعد على العقيدة المسيحية إلا أن ما قال به أريوس.. كان قد سبقه إليه من قبل كثيرون .. ظهروا فى سنوات متتالية بعد ظهور المسيح.. وكان منهم كرنثيوس الذى ولد يهوديا وأعلن دعوته عام ٧٣م وقال فيها إن خالق العالم يختلف عن الإله الأعظم. يسوع.. وأن خالق العالم هو من وضع شريعة اليهود التى أصابها الدنس.

ومن أجل تنقية شريعة اليهود مما لحق بها.. أرسل الله روح المسيح لتحل داخل يسوع ابن يوسف ومريم.. واتحد الاثنان معا من أجل تخليص اليهودية مما علق بها.. مما ألب عليه اليهود الذين قرروا التخلص منه فقبضوا عليه ليقتلوه.. وعندما شعر المسيح بأن نهاية يسوع اقتربت.. طار إلى السماء تاركا يسوع فى أيدى اليهود ليصلبوه.. وحرص كرنثيوس على أن يأمر أتباعه باحترام وتقدير المسيح، وبشرهم بعودته إلى الأرض مرة أخرى متحدا داخل جسد يسوع ليحكم العالم ألف عام.. على الأرض ثم تنقل مملكة المسيح إلى السماء.

وفى القرن الثانى الميلادى ظهر أمونيوس السقاط الذى ولد مسيحيا لكنه تأثر بالفلسفات الوثنية فأراد أن يجمع الديانات القديمة فى ديانة تمتزج بالمسيحية..

فأعلن أن الآلهة الوثنية السابقة على ظهور المسيح ماهى إلا أسماء لخدم الله الذين يتقرب المؤمنون بهم إلى الله.. وإن المسيح ليس بإله.. وليس ابنا لله.. وإنما هو إنسان خارق للعادة ومقرب إلى الله وأن رسالته كانت بتنقية وتطهير ماعلق بالأديان السابقة على دعوته وأن من أتى بعد المسيح شوه دعوته وتعاليمه.

ومن الإسكندرية أطلق باسيليوس دعوته التى تشبعت بالكثير من الخرافات والأساطير وكان حريصا على الفصل مابين إله اليهود ومابين دعوة يسوع.. فادعى أن إله اليهود كان رئيس الملائكة وكان يرغب فى السيطرة على البشر جميعا فثار عليه باقى الملائكة.. فأرسل الله ما أطلق عليه اسم «نوس» والمقصود به يسوع الابن الأكبر للإله.. لإنقاذ البشر من صراع الملائكة.. وكان يسوع فى تعاليمه يمتلك قوى خارقة وقدرة على التمثل بهيئات مختلفة.. وهو فكر يبدو واضحا تأثره بالسحر والأساطير التى كانت سائدة فى تلك الفترة من الزمان.. ولاقى يسوع مقاومة لتعاليمه من اليهود الذين أرادوا التخلص منه وقتله.. ولما علم يسوع بنية اليهود للإمساك به وصلبه اتخذ صورة سمعان القروى.. فصلب سمعان بدلا منه ثم عاد هو إلى السماء.

ودعا باسيليوس لأفكاره سرا واستطاع أن يضم إليه كثيرا من الأتباع وكان يدعى أنه أخذ تعاليمه عن متى الرسول وغلوسيوس تلميذ بطرس الرسول.

وما إن حل القرن الثالث الميلادى حتى ظهر العديد من المدعين الذين نشروا أفكارهم التى تتعارض بشكل كامل مع المسيحية التى كانت تسعى الكنيسة لتأكيدها من خلال قواعد الإيمان المسيحى.. فمن الفيوم أطلق نيبوس دعوته وكان أسقفا لإبرشية أرسينو .. وكان متأثرا بعودة المسيح التى ذكرت فى سفر الرؤيا بأنه سيعود .. ليحكم على الأرض ألف عام كملك وليس بالمعنى الروحى كما يفسر فى العقيدة المسيحية وعندما انتشرت تعاليم نيبوس وصل صداها للبابا ديونيوس عام ٢٥٥م الذى رأى أن يتفقد بنفسه مايدور فى الفيوم. فانتقل إليها وبهدوء وروية ناقش أتباع فيبوس لمدة ثلاثة أيام فى مجمع عقده بها حتى استطاع أن يقنعهم بخطأ تعاليم بينوس وأعادهم إلى الإيمان الصحيح.

ولم تقتصر البدع والأفكار المحرفة على ظهورها فى الإسكندرية أو فى مصر عامة وإنما ظهر العديد من هؤلاء المدعين فى أرض العراق.. وكان أشهرهم على الإطلاق بولس السيمساطى الذى ولد فى مدينة سيمساط بالعراق وكان ابنا لوالدين فقيرين وما إن بلغ سن الشباب حتى أصبحت له ثروة هائلة مكنته لأن تكون له مكانة كبيرة لدى «زينب» ملكة تدمر واستطاع أن يصل لأن يكون بطريركا لأنطاكية.. وعرف عنه حبه الشديدة للبذخ والرفاهية حتى قيل عنه إنه كان عندما يتحرك موكبه فى الطريق كان يسبقه مائة خادم ويتبعه مائة آخرون بجانب انغماسه الشديد فى اللهو حتى أنه كان دائما ماترافقه امرأتين عرف عنهما الجمال كان يقضى برفقتهما معظم أوقاته.

ذاق بولس طعم ملذات الحياة وامتلك الثروة والجاه وأيضا المكانة الدينية الرفيعة وتوج كل هذا برضا وحماية ملكة تدمر التى أوكلت إليه مهمة جمع الضرائب مقابل راتب سنوى كبير ولم يكن ينقصه إلا أن يأتى بجديد خاص به.. فادعى أن عيسى لم يكن ابنا لله منذ البداية.. بل هو إنسان حلت فيه كلمة الله وحكمته عندما ولد من السيدة مريم وأن الحكمة التى منحها له الله هى التى مكنته من أن يأتى بالمعجزات وأنه لايوجد إلا إله واحد للكون.. وبلغت تعاليم بولس مسامع القديس ديونسيوس البطريرك السكندرى الذى سارع بإرسال الرسائل إليه لهدايته وتوضيح الحقيقة له وشرح أن تعاليمه مخالفة لنصوص الكتاب وأصول العقيدة.. ولم تفلح هذه الرسائل فى عودة بولس إلى تعاليم المسيحية ومن أجله تم عقد مجمع فى أنطاكية حضره أساقفة قيصرية وطرطوس وأورشليم.. وغاب عنه ديونسيوس بطريرك الإسكندرية لكبر سنه وبرع بولس فى مراوغة من اجتمعوا به لإثنائه عن أفكاره حتى عقد من أجله مجمع آخر وفيه اتفق المجتمعون على ضرورة خلعه من منصبه كبطريرك إنطاكية.. ولم يمتثل بولس لقرارات المجمع.. وعاد إلى بطريركيته مستعرضا قواه مستندا إلى دعم ملكة تدمر له .. ولم يجد الأساقفة أمامهم إلا أن يشكوه إلى القيصر أورليان الذى أصدر حكمه بأن يخضع بولس لحكم المجمع.

ولم تكد فتنة بولس تهدأ حتى أعلن مانى عن نبوته وديانته التى جمعت مابين الوثنية والمجوسية والمسيحية.. بعد أن اكتشف أن المسيح ترك بعض الأمور ناقصة وأنه جاء ليتمها ولينهى خلاص البشر.. ومع أن دعوة مانى بلغت قوتها فى عام ٢٦٨م إلى أنه مازال هناك من يعتنق أفكاره حتى أيامنا هذه.

ظهر مانى بن فاتك فى زمن الملك الفارسى سابور بن أردشير.. تولت رعايته سيدة عجوز حرصت على تعليمه الدين المجوسى وعلومه وفنونه التى ارتبطت بالفلك والطب والفلسفة ودرس تعاليم المسيحية فاعتنقها.. ولم يستطع التخلى عن المجوسية.. فابتكر دينا كان خليطا مابين الاثنين وكان يعترف بأن آدم أبو البشر ومن بعده كان هناك أشياء حتى جاء نوح ثم إبراهيم عليه السلام ثم زرادشت إلى فارس ثم المسيح إلى أرض الروم والعرب ثم بولس بعد المسيح ثم يأتى بعد ذلك خاتم النبيين إلى أرض العرب.. ولم يكن مانى يعترف برسالة سيدنا موسى وبسبب ذلك كان يتباهى بأنه مسيحى ويجادل اليهود ويعاديهم.. وانتشر مذهبه.. فاتخذ لنفسه اثنى عشر تلميذا واثنين وسبعين أسقفا وعددا من القساوسة أرسلهم إلى الهند والصين ومن أجل التبشير بدعوته التى قال فيها بأن للكون إلهين.. إله النور وإله الظلام وأن الاثنين متضادان فى الطبيعة فإله النور سعيد ورحيم ومحسن وخير وكريم ونافع وعالم وإله الظلام شديد فاسد، ضار، جاهل، خبيث، بخيل، شقى.. وكل منهما أوجد طائفة كبيرة من نسله وأتباعه على الأرض.

وفى معتقداته كان إله الظلام لايعلم شيئا عن إله النور.. حتى حدثت حرب فى مملكته فحاول أن يستولى على مملكة إله النور الذى تصدى له بجنوده.. فحدث تمازج بين عناصر المملكتين بعدما لم ينجح الإنسان الأول قائد جنود إله النور فى القضاء على جنود إله الظلام.. ليخرج من جنود إله النور قائد آخر يسمى بالروح الحى الذى لم ينجح هو أيضا بفصل النور عن الظلام.. ليخلق بعد ذلك إله الظلام آدم وحواء اللذين اختلط بهما الظلام والنور.

ومن أجل خلاص البشرية.. أخرج الله أو إله النور من نفسه كائنين هما المسيح والروح القدس وأرسلهما إلى الأرض ليساعدا البشر على العودة إلى العالم

السماوى عالم النور والنقاء هاربين من إله الظلام وعالمه الملىء بالشرور والآثام وجاءت بعثة المسيح بين اليهود الذين حاولوا صلبه ففشلوا لأنه لم يكن له جسد وعاد إلى موطنه فى السماء وإلى الشمس مسكنه الأول وترك خلفه تلاميذه لحين يرسل إليهم مانى الرسول العظيم الذى سيكمل رسالة المسيح.. ووضع شرطا لمن يؤمن بألوهية المسيح بأن ينكر إله اليهود لأنه إله الظلام.. وعلى أتباع مانى أن يقاوموا شهوات النفس ويتحلوا بالأخلاق ويبتعدوا عن الكذب والقتل والسرقة والزنى والبخل.. ووضع مانى كتابا مقدسا لأتباعه أسماه «أرتن» وأمام دعوة مانى لم تقف الكنيسة مكتوفة الأيدى بل أدرك مكسيموس بطريرك الإسكندرية خطورة دعوته التى انضم إليها الكثيرون الذين كانوا متأثرين بالعديد من الآلهة والعبادات التى كانت متوطنة فى تلك المناطق من العالم.. فجاءت دعوة مانى التى كانت خليطا من الوثنية والمجوسية وعبادة الشمس والمسيحية لتلقى ترحيبا من الكثيرين.. فكتب البطريرك مكسيموس الرسائل التى تحذر من دعوة مانى وخطورتها وأرسل القساوسة لتفنيد وبيان فساد عقيدته حتى استطاع أن يحقق الكثير من النجاح فى مقاومة مانى.

ولكن النجاح الأكبر جاء من مانى نفسه الذى شارك فى وضع نهايته بعد أن تصدى لعلاج ابن ملك الفرس بهرام بن هرمز بن سابور وكان الأطباء قد عجزوا عن علاجه.. فتولى مانى مهمة إنقاذ حياته مستعينا بكل معارفه فى الطب والسحر التى لم تجد نفعا أمام المرض فمات ابن الملك بين يديه.. ولم يغفر الملك له موت ابنه.. فألقى بمانى فى السجن.. الذى لم يلبث أن نجح فى الهروب منه.. متجها إلى فلسطين.. مختبئا وداعيا لمذهبه.. فطارده ملك الفرس حتى قبض عليه وتفنن فى تعذيبه حتى أنه سلخ جلده وهو حى.. وألقى بجسده للوحوش وصنع من جلده وعاء حشاه ـ بالتبن ـ وعلقه على باب المدينة.

وجاء أريوس بعد كل هؤلاء وغيرهم ليطلق دعوته التى كانت تتعارض مع قواعد الإيمان الأرثوذوكسى مستغلا مكانته كشماس فى كنيسة حى بوكاليس بالإسكندرية.. متأثرا بمدرسة إنطاكية التى أسسها لوقيانوس الأنطاكى والتى

كانت تنظر إلى المسيح باعتباره مخلوقا أنعم الله عليه بقوى إلهية وأنه ليس بإله.

وعندما ذاعت أفكاره بين العامة والخاصة.. وأصبح له تلاميذ يستمعون إليه.. تقدم إلى الأسقف إلكسندر شارحا له معتقداته وما يؤمن به.. وارتاع الأسقف من خطورة ما يدعو إليه.. وزاد من قلقه وضيقه سرعة انتشار هذه الأفكار بين الناس وتأثر بعض رجال الدين بها.. فقد كان أريوس يمتلك قدرة فائقة على صياغة كلماته بشكل يؤثر فيمن يستمع إليه ببساطة منطقه وبما عرف عنه من الزهد والتقشف والتقوى والورع.. فكان يقول:

«إن المسيح لم يكن هو والخالق شيئا واحدا بل كان هو الكلمة (المسيح) أول الكائنات التى خلقها الله وأسماها.

وأطلق أريوس العديد من التساؤلات التى صاغها بأسلوب يحمل الإجابة بين كلماته، فقال: إذا كان الابن من نسل الأب فلابد أن تكون ولادته قد حدثت فى زمن.. وإذا كان المسيح قد خلق فلابد أن يكون خلقه من لا شىء. أى من غير مادة الأب.. لأن المسيح والأب ليسا من مادة واحدة.. وقد ولد الروح القدس من الكلمة (المسيح) وهو أقل ألوهية من الكلمة (المسيح) نفسها وتلخصت أفكار أريوس فى أن السيد المسيح غير أزلى وهو قد خرج من العدم مثل باقى خلائق الله وبحسب قصد الله ومشيئته وهو ليس إلها.. وإن للمسيح معارف محدودة ولأنه مخلوق إلهى فإن الله قد منحه الحق فى أن يسلك طريق الصلاح أو أن يصير كالشيطان على أن الله كان قد قرر أن يسلك يسوع طريق الصلاح والكمال.

وأصبح مذهب أريوس شديد الوضوح.. ولم يستطع معارضوه فى ذلك الوقت الحد من انتشار أفكاره التى كانت تجد صدى هائلا لدى العامة والخاصة.. واستمر هو فى قوله «إذا كان الله الأب مطلق الكمال، ومطلق السمو، ومطلق الثبات وإذا كان منشئ كل الأشياء دون أن يكون ذاته صادرا عن شىء آخر فإنه من الواضح أن كل شىء وكل شخص آخر فى العالم منفصل عن الله.. وإذا كان كل شىء منفصلا عن الله فلابد إذا أن يكون يسوع أيضا منفصلا عن الله. وانضم إليه الكثيرون.. فقال لهم «إن يسوع المسيح لعب دورا مميزا فى خلق العالم المادى

وفدائه ولكنه ليس الله ذاته، فلا يمكن إلا أن يكون هناك إله واحد.. ولهذا فلابد أن يكون المسيح قد خلق فى زمن ما، ولابد أن يكون المسيح ككل الخليقة معرضا للتغيير والخطيئة وأنه مثل كل الكائنات المخلوقة لا يملك معرفة حقيقية لفكر الله.

ذاع مذهب أريوس فى الإسكندرية وتبعه كثير من الفتيات الزاهدات اللاتى كن قد نذرن أنفسهن للدين.. وكثير من النساء وبعض الأساقفة مما جعل أريوس كثير النشاط والحركة لايكف عن طرح أفكاره وشرحها فى الأسواق والطرقات وحتى كان يحرص على حضور خطب البابا الإكسندروس أو ألكسندر ولم يكن يتورع عن مقاطعة البابا أثناء خطبته.. معلنا عن رأيه فى أن حديث البابا ليس من تعاليم الإنجيل.

وجاء البابا ألكسندر وكان ترتيبه التاسع عشر بين من تولوا البطريركية بعد البابا أرشلاوس الذى ظل على كرسيه ستة أشهر وتوفى عام ٣١٢.. وكان أريوس قد بدأ فى إذاعة تعاليمه قبل توليه البابوية وتم إبعاده عن الكنيسة وإعادة أرشلاوس إليها بعد أن توسط لديه العديد من رجال الدولة وبعض القساوسة الذين كانوا يميلون إلى أفكار أريوس فأعاده البابا إلى وظيفته كقس وواعظ.

وتولى من بعده البابا ألكسندر الذى كان يلقب بأبى المساكين لما عرف عنه من زهد وحب للفقراء وعطف عليهم.. وحاول أريوس التقرب إليه وتوضيح أفكاره التى ينادى بها.. فتصدى له البابا ألكسندر ورفض الاستماع إليه أو الاجتماع به.. مما جعل أريوس يشتد فى عدائه له ويعكف على صياغة الخطب والمواعظ التى تتضمن أفكاره حتى وصل به الأمر لمقاطعته أثناء إلقاء خطبه.. وفى يوم كان البابا ألكسندر يلقى خطبة كانت تدور حول بيان قدرة المسيح على إحياء الموتى فقاطعه أريوس قائلا بأن ما يقوله ليس من تعاليم الإنجيل.. ولم يبال البابا بمقاطعة أريوس له فما كان من الأخير إلا أن القى بعدها محاضرة كانت تدور حول «أبى أعظم منى» ويعنى بها أن المسيح عيسى ابن مريم مخلوق وأن الله أعظم منه لأنه الخالق.

وأدرك البابا خطورة أريوس وأفكاره بعدما رأى تكاثر أتباعه وازدياد عددهم مع الأيام فقرر أن يتخذ خطوات أكثر فاعلية للحد من خطورته.. فجمع الأساقفة الموجودين فى الإسكندرية وطالبهم بدراسة تعاليم أريوس.. فحكموا بضرورة أن يتم نصحه وإرشاده وطالبوه بأن يكف عن اعتناق هذا الفكر وتم صياغة هذه المطالب فى وثيقة وقع عليها ٣٦ قسيسا و٤٤ شماسا.. إلا أن أريوس لم يلق اهتماما إلى هذه الوثيقة واعتبرها كأنها لم تكن واستمر فى دعوته التى كانت تحتذب إليه المزيد من الأتباع فى كل يوم.

ورأى البابا ألكسندر أن سياسة المهادنة والحوار لم تأت بنتيجة مع أريوس وأتباعه وأن الوثيقة التى وقعها رجال الدين عام ٣١٩م.. لم تحقق أى نجاح.. فقرر اتخاذ إجراء أكثر قوة.. وفى عام ٣٢١م.. أصدر أوامره بعقد مجمع ثان مكون من مائة أسقف من ليبيا ومصر لمواجهة أريوس وأفكاره .. وصدرت قرارات المجمع بطرد أريوس من الكهنوت وبتجريم أفكاره وباعتبارها بدعة وبالحكم على من يتبعه بالخروج عن المسيحية.

ووافق معظم من حضر المجمع على قراراته ماعدا أسقفين و١١ شماسا.. وتم إرسال قرارات المجمع إلى أريوس.. الذى لم يقف مكتوف اليدين خاصة بعد أن شعر بأن وقت المواجهة الحقيقية قد بدأ فكتب رسالة إلى أسقف نيكوميديا الذى كانت تربطه به صلات ود وصداقة ليعلمه بنتائج قرارات المجمع وما اعتبره أنه اضطهاد وظلم واقع عليه.

فكتب له قائلا: "إلى سيدى العزيز رجل الله الأمين الأرثوذوكسى أوسابيوس يسلم بالرب أريوس المضطهد من الأسقف ألكسندر بسبب الحق الذى يعلو على الجميع الذى أنت تحامى عنه أيضا.. بما أن مونيوس منطلق إلى نيكوميديا رأيت لائقا أن أكتب لك معه وأخبر المحبة الوطنية والمودة اللتين تمارسهما للإخوة لأجل الله ومسيحه أن الأسقف يضطهدنا كثيرا ويهيج الجميع علينا حتى يطردنا من المدينة كأننا كافرون بالله لأننا لانتفق معه فى إعلانه الجارى بأن الله أزلى والابن أزلى وبأن الأب دائما أب والابن دائما ابن وأن الابن من الله ذاته.

وبما أن أخاك أوسابيوس القيصرى وثيودوتوس وبولبئوس وإثناسيوس واغريغوريوس وآيثن وكل أهل الشرق يقولون إن الله كان قبل الابن وبدون بداية فهم محرومون إلا فيلوغوينوس وهيلافيكس ومكاريوس الأمين الهراطقة الذين يقول أحدهم إن الابن ضياء الأب والآخر أنه شعاعه منه، والآخر أنه مساو للأب فى كونه غير مولود فهذا الكفر لاتطيق آذاننا سماعه ولو هددنا الهراطقة بألف ميتة مانقوله نحن ولانعتقد به.. وقد علمنا ولانزال نعلمه أن الابن ليس غير مولود ولا هو جزء من غير المولود بنوع ما.. ولاصنيع من مادة دون. بل الإرادة والقصد.. وجد من قبل كل الدهور وقبل كل العالمين.. إله تام. المولود الوحيد غير المتغير.. وأنه قبل أن ولد أو خلق أو قصد به أو ثبت لم يكن له وجود.. لأنه لم يكن غير مولود قط.. أننا نضطهد لأننا نقول إن للابن بداية ولكن الله بدون بداية ونضطهد أيضا لأننا نقول إنه من العدم، وهذا نقوله لأنه ليس جزءا من الله ولا صنع من مادة بدون.. فعلى هذا نضطهد .. وأنت تعلم البينة.. استودعك الله" أريوس.

ولم يقف البابا ألكسندر مكتوف الأيدى أمام رسائل أريوس التى كان يبعث بها إلى الأساقفة خارج مصر محاولا اكتساب تعاطفهم نحو أفكاره لاعبا على وتر الاضطهاد.

فما كان من البابا إلا أن قام هو أيضا بشرح عقيدة أريوس وأفكاره إلى الأساقفة ومن بينهم الأسكندروس أسقف القسطنطينية شارحا له آراء ومعتقدات أريوس وأتباعه وأفكارهم لألوهية المسيح قائلا : إنهم اعتقدوا بأنه وجد وقت لم يوجد فيه ابن الله وذاك الذى لم يكن له وجود.. وجد بعدئذ ومنذئذ وجد كما يوجد كل إنسان لأنهم يقولون إن الله عمل كل الأشياء من العدم مدخلين ابن الله فى هذه الخليقة لكل الأشياء العاقلة وغير العاقلة ويقولون إنه بطبيعة قابلة التغيير والفضيلة والرذيلة.. فهذا التعليم الثائر الآن على تقوى الكنيسة هو تعليم أيبيون، وارطيماس وهو نظير تعليم بولس السيمساطى.

وينتقل البابا ألكسندر إلى شرح العقيدة الأرثوذوكسية فيقول فى نفس الرسالة:

«نحن نؤمن كما تؤمن الكنيسة الرسولية بالأب الوحيد غير المولود الواجب الوجود وهو عديم التغير والزوال هو .. هو وبغاية الكمال لايشوبه زيادة ولانقصان معطى الشريعة والأنبياء والأناجيل.. رب الآباء والرسل وكل القديسين.. وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد.. ليس مولودا من العدم بل من الأب الحى وليس حسب الجسد الهيولى بتفريق وفيضان الأجزاء كما زعم سابليوس وفالنتيان بل بنوع لايدرك ولا يعبر عنه حسب المعتقد الذى ذكرناه سابقا.. فمن يخبر بجبله لأن وجوده غير مدرك عند كل الكائنات.. كما أن الأب غير مدرك لأن العقول المخلوقة لاتقدر أن تفهم هذه الولادة الإلهية من الأب لا أحد يعرف من هو الأب إلا الابن ولا أحد يعرف من هو الابن إلا الأب.. فإنه غير متغير كما أن الأب غير متغير لاينقص عن الأب شىء سوى أنه ليس غير مولود فهو الابن الكامل وصورة الأب التامة لهذا يجب أن تحفظ للأب غير المولود العظمة اللائقة به وللابن يجب أن تقدم أيضا الكرامة اللائقة بانتدابنا له الولادة الأزلية من الأب» إمضاء البابا ألكسندر.

واستمر أريوس فى نشاطه داخل الإسكندرية وهو ماجعل البابا لايكف عن محاربته والتنديد به.. ثم لجأ فى النهاية إلى طرده من الإسكندرية ووجد أريوس الفرصة سانحة أمامه للترحال ونشر أفكاره.. وجذب المزيد من الأتباع إليه فخرج قاصدا فلسطين وبصحبته اثنان من الأساقفة واثنان من الشمامسة كان أحدهما يسمى أونريوس فكان مخلصا للدعوة متفانيا فى إيمانه بها.

واتخذ من فلسطين قاعدة لنشر أفكاره وللهجوم على البابا ألكسندر.. حتى استطاع أن يكتسب صداقة أوسابيوس أسقف قيصرية وأوسيوس أسقف بيسيويه ويوليوس أسقف صور وأجريجوريوس أسقف بيروت إلى جانب صديقه أوسابيوس أسقف نيكوميديا.

ومنحته تلك الصداقات شعورا بالراحة والهدوء خاصة بعد أن سمح له اصدقاؤه الأساقفة بنشر تعاليمه بحرية كاملة وإلقاء خطبه ومواعظه مما جعل نفسه تستكين وتهدأ وتتوهج مواهبه الأدبية وقدرته على الخطابة والتأثير فى

أتباعه بمنطق بسيط.. حتى أنه لجأ إلى صياغة أفكاره على هيئة أبيات شعرية وضع لها ألحانا ونغمات موسيقية فكان أتباعه الذين ازداد عددهم يتغنون بها فى الصباح والمساء.. وجمع أريوس أبياته الشعرية التى تحوى أفكاره فى كتاب أسماه «تاليا» الذى يعنى المأدبة وكان على طراز الأغانى الشعبية المحبوبة التى يرددها الناس ببساطة ويسر وبدون تعقيد.

وكان البابا ألكسندر يتابع نجاحات أريوس فى كل البلدان والأماكن التى يتحرك فيها وانهالت عليه الرسائل من الأساقفة يطالبونه فيها بأن يسحب حكمه عن أريوس.. فرد على رسائلهم بخطابات شرح فيها اعتقاد أريوس موضحا الأسباب التى دفعته إلى حرمان أريوس وكيف أنه لايمكن قبوله مرة أخرى مستشهدا برؤيا البابا بطرس الذى سبق البابا أرشلاوس والذى كان أول من حرم أريوس من الكنيسة بعد أن استمع إلى معتقداته.. وقبل مقتله كانت وصيته لتلميذيه أرشلاوس وألكسندر أن لا يصدقا أريوس خاصة بعد أن رفض أن يصفح عنه وحذر أرشلاوس وألكسندر من مكر أريوس مذكرا إياهما أن حرمانه وطرده لأريوس ليس أمرا اتخذه بنفسه بل السيد المسيح هو من اتخذ القرار، فلقد جاءه فى المنام، هذا الأمر.. فرأى شابا يدخل عليه ووجهه مضىء كضوء الشمس مرتديا ثوبا يصل إلى قدميه ولكنه مشقوق وبيده قطعة ممزقة من الثوب فصرخ البابا بطرس سائلا الشاب « يا سيدى من شق ثوبك» فأجابنى.. أريوس.. هو الذى مزق ثوبى فلا تقبله.. واليوم يأتيك قوم طالبين منك إرجاعه فلا تطعهم وأوصى أرشلاوس وألكسندروس بأن يمنعاه من شركتهما.

وأمام موقف البابا الصارم الذى لم يتغير رغم رسائل الأساقفة ووساطتهم.. قرر أريوس وأتباعه أن يقيموا هم أيضا مجمعا ليحددوا فيه موقفهم من البابا.. وقراراته.. فعقد مجمع بيثيه عام ٣٢٢م وخرج بقرار إلغاء قرارات بابا الإسكندرية واعتبارها كأنها لم تكن ولا تعترف بحرمان أريوس وطرده من الكنيسة وتم تأكيد هذا المجمع.. بمجمع ثان عقد فى فلسطين عام ٣٢٣م أيد القرارات السابقة واتخذ قرارا بعودة أريوس وأتباعه إلى الإسكندرية من جديد.

عاد أريوس إلى الإسكندرية ليستمر فى دعوته وهو أكثر قوة.. لديه يقين بأنه من الإسكندرية سيتحدد مصير ومستقبل دعوته.. فقد كانت أرض الدعوة التى تأسس بها الكرسى الرسولى على يد القديس مرقص الرسول وهو واحد من أصحاب الأناجيل الأربعة واكتسبت الإسكندرية أهمية خاصة للمسيحية فقد كانت بمثابة القلعة الشرقية المضاهية لمدينة روما فى الغرب فى كون كل منهما معقلا قويا للوثنية فى بداية الأمر ثم أصبحت مهد المسيحية الشرقية.. وهناك رواية تتحدث عن بداية دخول المسيحية إلى الإسكندرية على يد القديس مرقص ففى كتاب تاريخ البطاركة يذكر أن الوحى الإلهى أمر كلا من بطرس ومرقص بالرحيل إلى روما والإسكندرية بعد العام الخامس عشر من صعود المسيح أى فى عام ٤٨م.. وعند دخول مرقص إلى الإسكندرية من البوابة الشرقية انقطعت شرائط حذائه فلجأ إلى من يصلح له حذاءه.. أمسك الصانع بأداة لإصلاح الحذاء.. فانغرست فى يده وجرحته فصاح باليونانية «هيسى ـ هو ثيوس» التى تعنى واحد هو الله فتهلل مرقص فرحا عند سماعه تلك الكلمات التى دلت على إيمان الرجل وعلى أنه ليس من عبدة الأوثان.. الديانة التى كان يتبعها أهل الإسكندرية فى ذلك الوقت.. فقام بشفاء جراح الرجل بمعجزة.. وبشره بالإيمان ليصبح صانع الأحذية أول من يعتنق المسيحية فى مدينة الإسكندرية.. ولم يكن هذا الرجل سوى أنيانوس الذى سوف يصبح فيما بعد ثانى بطريرك لمدينة الإسكندرية بعد مرقص.

اعتنق أنيانوس وعائلته المسيحية وسط مدينة وثنية تقدم فيها القرابين والأضحيات إلى الآلهة الوثنية ويحرق البخور أمام تمثال الإمبراطور الرومانى وكان طقسا يدل على الإيمان والاحترام والتبعية.. وكانت تقام المعابد الفخمة للآلهة الوثنية.. وما إن بدأ نور الإيمان يشرق فى الإسكندرية حتى اتبع مرقص وأنيانوس الكثيرون.. ما أثار قلق وضيق أبناء الإسكندرية الوثنيين الذين استشعروا خطورة انتشار دين جديد يهدد عقيدتهم الوثنية ويحط من قدر آلهتهم الوثنية.. واستدعى انتشار المسيحية ودخول عدد من المؤمنين للدين الجديد إقامة مكان للعبادة.. فأقاموا لهم كنيسة كبرى فى الحى الذى كان يعرف باسم

بوكالس حى بولكلى الآن.

كانت خطوات المسيحية فى الإسكندرية مراقبة بدقة من عبدة الأوثان الذين كانوا يشكلون معظم السكان إلى جانب اليهود.. ومع ازدياد عدد معتنقى المسيحية كانت لابد أن تنطلق الشرارة التى تنبئ بارتفاع درجة حرارة الأحداث.. وهو ماحدث فى عام ٦٨م عندما حل يوم عيد القيامة الذى يحتفل به المسيحيون فى نفس وقت الاحتفالات بالإله سيرابس الوثنى.. فاجتمع الوثنون فى ساحة السيرابيوم وهاجموا المسيحيين وهم يحتفلون بعيد القيامة فى كنيسة بوكالس وقبضوا على القديس مرقص.. وأوثقوا رقبته بالحبال وسحلوه فى شوارع الإسكندرية ثم ألقوا به فى السجن وفى اليوم التالى.. استعرضوا قواتهم بإعادة سحله مرة ثانية وقاموا بتقطيع جسده.. تمهيدا لإحراقه.. ولم يتمكنوا من إتمام مهمتهم بعد أن قامت عاصفة هائلة أعقبها سقوط الأمطار مما جعلهم يتركونه ويهربون للاحتماء من غضب الطبيعة.. مما منح المسيحيين. فرصة لجمع أشلاء القديس مرقص وقاموا بدفنه سرا فى مقبرة حفروها فى الصخر تحت مذبح كنيسة بوكالس.. ومن بعد القديس مرقص بدأ عصر الاضطهاد للمسيحيين على يد أهل الإسكندرية الوثنيين الذين كانوا ينظرون لمرقص على أنه يهودى مكروه وللمسيحيين من أتباعه على أنهم يمارسون طقوسا دينية غريبة ولافكارهم على أنها تحد وعدم احترام لسلطة الإمبراطور الرومانى والآلهة التى يعبدونها .. وأصبح الهاجس الأول لهم هو القضاء على تلك الديانة الناشئة وأتباعها خاصة بعد أن اجتاحت البلاد فى تلك الفترة موجة هائلة من المجاعات والأوبئة والجفاف بسبب نقصان فيضان النيل مما اعتبروه علامة ونذيرا للشر والشؤم ارتبط بدخول المسيحية وأصبح أتباعها عنوانا حيا لكل الكوارث التى حلت عليهم.

وما بين الاضطهاد.. واستشهاد الآلاف من معتنقى المسيحية.. بدأت المسيحية تعلو وتنخفض حتى أصدر الإمبراطور فسبتيموس عام ٢٠٢م مرسوما بتحريم اعتناق المسيحية كلية ونفذ ذلك المرسوم.. وتم إغلاق مدرسة تعليم مبادئ المسيحية فى الإسكندرية وإن كان معلمو المدرسة.. حملوا علمهم متنقلين به من

مكان إلى آخر.. وعانى المسيحيون الأهوال وهم يحاولون التمسك بعقيدتهم التى استمرت فى الانتشار وفى نفس الوقت عانوا من الكثيرين الذين خرجوا عليها مبتدعين أفكارا تتعارض مع عقيدة الإيمان الأرثوذوكسى.. ولم ينل المسيحيون قسطا من الأمان إلا فى عهد الإمبراطور جالينوس الذى استمر حكمه حتى عام ٢٦٨م أصدر خلالها مرسوما ينص على التسامح الدينى مع جميع مواطنى الإمبراطورية.

والمفارقة أن كنيسة بوكاليس التى كانت أول كنيسة بالإسكندرية والتى شهدت تأسيس المسيحية كانت نفسها هى الكنيسة التى انتمى إليها أريوس وعمل بها وأطلق دعوته منها. وكانت عودته على الإسكندرية مرة أخرى بعد قرار مجمع فلسطين عام ٣٢٣م الذى اتفق فيه مع أتباعه على ضرورة العودة إلى الإسكندرية مهد الدعوة والأرض التى انطلقت منها المسيحية إلى الشرق.. ليعود الجدل والخلاف أكثر حدة وقوة بين أريوس والبطريرك ألكسندر ليمتد الخلاف إلى المؤمنين أنفسهم لينقسموا إلى فريقين يمثل كل منهما العقيدة التى يتبعها ويؤمن بها مما دفعهم إلى المواجهة حتى أن طرقات الإسكندرية شهدت جدلا ونقاشا ومناظرات بين أتباع كلا الفريقين وفى بعض الأحيان كان الجدل والنقاش ينتهى بمعارك طاحنة مما جعل الأمور شديدة الاضطراب فى وجود بقايا للوثنيين واليهود وأتباع المدارس الفلسفية اليونانية المختلفة.. كان الأمر ينذر بتفجر الموقف مما جعل البابا ألكسندر يعلن الحرمان على أريوس ويطرده من المدينة.. وفى ذلك الوقت ظهر على مسرح الأحداث شخصية هامة ستلعب دورا أساسيا ومحوريا فى مواجهة أريوس وأتباعه.. فتصدى الشماس الشاب أثناسيوس تلميذ البطريرك ألكسندر لكتابة المنشور السنوى ضد أريوس ووضح أن تعاليمه تهدف إلى تعدد الآلهة والإيمان ببعض ماجاء فى الكتاب وترك الآخر، ووقع على منشور أثناسيوس ٣٦ كاهنا و٤٤ شماسا وامتنع بعض القساوسة عن التوقيع تعاطفا مع أريوس.

واشتد الصراع حتى وصل الأمر إلى الإمبراطور قسطنطين عن الأزمة التى

تكاد تعصف باستقرار وأمن أهم مدينة فى الشرق مما استدعى تدخله بشكل مباشر لإنهاء هذه الأزمة وهناك روايتان حول تدخل الإمبراطور.. واحدة تؤكد أن تدخله جاء بعد أن توسطت شقيقته كونسطاسيا لديه لصالح أريوس بعد أن توسط لديه عندها أوسابيوس أسقف نيكوميديا والرواية الثانية تتحدث عن طبيعة الإمبراطور قسطنطين نفسه الذى لم يكن يهتم بأمر الدين كثيرا وكان دافعه الوحيد ألا يتحول الدين إلى صراع يهدد استقرار ملكه.

وأيا كان الدافع الحقيقى وراء تدخل الإمبراطور قستطنطين إلا أنه قرر إنهاء الأزمة بإرسال أوسيوس أسقف قرطبة للتوسط مابين البابا ألكسندر وأريوس وكان أوسيوس رجلا حكيما، هادئا عرف عنه سعة العقل والعلم. وأرسل قسطنطين معه رسالة وجهها إلى البابا ألكسندر وأريوس دعاهما فيها إلى ترك الخلافات وعدم إثارة حيرة العامة.. وإدخالهم فى خلافات تؤدى إلى خلق حالة من الصراع.. وجاء نص الرسالة الذى يكشف الكثير عن طبيعة الخلاف فى تلك المرحلة.. وكانت كلماته: «لقد اقترحت أن أرد جميع آراء الناس فى الله إلى صورة واحدة لأنى قوى الاعتقاد بأنى إذا استطعت أن أوحد آراءهم فى هذا الموضوع سهل على كثيرا تصريف الشئون العامة ولكنى مع الأسف الشديد.. أسمع أن بينكما من الخلاف أكثر مما كان قائما فى أفريقيا من وقت قريب ويبدو لى أن سبب هذا الخلاف بينكما صغير تافه غير جدير بأن يثير هذا النزاع الشديد فأنت يا ألكسندر تريد أن تعرف رأى قساوستك فى إحدى النقاط القانونية فى جزء من سؤال هو فى ذاته عديم الأهمية، وأما أنت يا أريوس فقد كان الواجب عليك إذا كانت لديك أفكار من هذا القبيل أن تظل صامتا.. ولم يكن ثمة حاجة إلى إثارة هذه المسائل أمام الجماهير لأنها مسائل لا يثيرها إلا من ليس لديهم عمل يشغلون به أنفسهم ولايرجى منهم إلا أن تزيد عقول الناس حيرة.. تلك أعمال سخيفة خليقة بالأطفال عديمى التجربة لا برجال الدين أو العقلاء من الناس».

ويبدو واضحا من صيغة الرسالة عدم اهتمام الإمبراطور بقضية الدين فى الأساس فكل مايعنيه هو الاستقرار السياسى من أجل استمرار حكمه كما أنه فى

خطابه ساوى مابين البابا ألكسندر الذى يحتل مركزا دينيا رسميا ومابين أريوس الداعية الثائر.. وكانت النتيجة أن الاثنين رفضا العمل بما جاء فى الرسالة فلم يكن ممكنا لأحد منهما الاستجابة لها فرضوخ البابا ألكسندر كان يعنى هدم العقيدة المسيحية من أساسها التى تقوم على التثليث وعلى اعتبار أن المسيح والروح القدس كليهما من مادة الأب وهو ماكان يتعارض تعارضا كاملا مع ماجاء به أريوس من وحدانية الله ومن أن المسيح هو الكلمة أول الكائنات التى خلقها الله وأسماها.

وفشلت مهمة أوسيوس فى الإسكندرية.. وازداد الوضع سوءا.. واشتد الصراع مابين الفريقين.. وتم تحطيم عدد من تماثيل الإمبراطور.. وعاد أوسيوس إلى الإمبراطور شارحا له أن الأمر معقد للغاية.. وأنه يتفق مع البابا ألكسندر فى ضرورة عقد مجمع عام يحضره كل أساقفة الأرض للفصل فى الأمر.. ووافق الإمبراطور.

وتم الإعداد لإقامة أول مجمع عالمى مسكونى.. يضم الأساقفة ورجال الدين من كافة أنحاء الأرض لإيجاد حل نهائى لمسألة الخلاف حول طبيعة المسيح.

كان الوقت فى صيف عام ٣٢٥م وحدد الإمبراطور مكان إقامة المجمع فى مدينة نيقية الواقعة اليوم على حدود تركيا وتعرف باسم «أزنيق» بالقرب من نيكوميديا.. داخل أحد القصور الإمبراطورية تحت رئاسة ورعاية قسطنطين الذى افتتح المناقشات بكلمات موجزة وجهها إلى الأساقفة ورجال الدين طالبهم فيها بأن يعيدوا إلى الكنيسة وحدتها.

استمع إلى خطبة الإمبرطور عدد كبير من الأساقفة الذين جاءوا من كافة أنحاء الأرض من غرب أوروبا ومن الدولة البيزنطية ومن أفريقيا بلغ عددهم ٣١٨ أسقفا وعدد كبير من الكهنة والقساوسة والشمامسة وكان على رأس هؤلاء جميعا أصحاب المشكلة والخلاف.. البابا ألكسندر يرافقه أثناسيوس رئيس شمامسته وسكرتيره الخاص البالغ من العمر ٢٥ عاما ومعهما الأنبا بوتامون أسقف هرقلية بأعالى النيل وبفنوتيوس أسقف طيبة العليا وحضر أريوس وأتباعه

الذين كان على رأسهم أوسابيوس أسقف نيكوميديا وثاوغنس مطران نيقية ومارس أسقف خلكيدون.

وتهيأ المجمع للفصل فى الخلاف ويذكر لنا القس منسى يوحنا فى كتابه "تاريخ الكنيسة القبطية" وصفا لما دار داخل المجمع والذى افتتح بدخول الإمبراطور قسطنطين.. إلى قاعة القصر: «دخل الضابط الذى كان يتقدم الإمبراطور .. فوقف الجمع ثم دخل الإمبراطور ماشيا الهوينى، ووضع فى وسط القاعة كرسى من الذهب له.. فأبى أن يجلس عليه وجلس فى آخر المجمع ولكن الأساقفة أشاروا عليه أن ينتقل من مكانه ويجلس فى الموضع الذى أعد له ففعل وبعد أن جلس .. جلسوا.. وجلس الأساقفة عن يمينه ويساره ويتقدم الجالسون من اليمين البابا ألكسندروس ورئيس شمامسته أثناسيوس ويوساب القيصرى.. ويتقدم الجالسون عن اليسار أوسيوس القرطبى وأريوس وأكبر أعوانه.. واصطف الجمهور على جانبى القاعة.

وبعد أن استمع الجميع إلى خطبة الإمبراطور.. افتتح المجمع أعماله.. وانعقدت الجلسة الأولى التى كانت مليئة بالجدل والغضب.. وانتهت بلا جدوى.. وفى اليوم الثانى .. تقدم أريوس وقال:

إن الابن ليس مساويا للأب فى الأزلية وليس من جوهره.. وإن الأب كان فى الأصل وحيدا فأخرج الابن من العدم بإرادته وأن الأب لايرى ولايكيف حتى للابن لأن الذى له بداية لايعرف الأزلى وأن الابن إله لحصوله على لاهوت مكتسب».

وتلا بعض أتباع أريوس كلماته التى صاغها على هيئة أبيات شعرية.. فارتفعت أصوات المعارضين.. وقابلتهم صيحات المؤيدين.. وكاد الأمر يخرج عن السيطرة حتى تدخل الإمبراطور .. فأعاد النظام إلى القاعة حتى فرغ أريوس من عرض معتقده وسمح بأن يبدأ النقاش.. وفوض البابا ألكسندر أثناسيوس تلميذه بالرد عليه.. والاثنان استعانا بنصوص الأنجيل.

فقال أريوس.. إن الابن (المسيح) قال أبى أعظم منى (يو ١٤: ٢٨) فعلى هذا يكون الابن أصغر من الأب ولايساويه بالجوهر.

فرد أثناسيوس.. إن الابن دون الأب لكونه تجسد كما يتضح ذلك من نفس الآية «لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت إنى ماض إلى الأب لأن أبى أعظم منى» أى أنه بناسوته يمضى إلى الأب الذى هو أعظم من ناسوت الابن وإلا كيف يتكلم بلاهوته أنه يمضى إلى الأب حال كونه فى حضن الأب ويؤيد ذلك أنه فى نفس الفصل يتكلم باللاهوت ويبين مساواته لأبيه بالجوهر بقوله «من رآنى فقد رأى الأب وأنا فى الأب.. والأب فىّ وكل ما للأب فهو لى وكل ما لى فهو له لأننا نحن واحد».

فقال أريوس إن المسيح قال: «أعطيت كل سلطان فى السماء وعلى الأرض» (متى ٢٨ : ١٨). فذكر هنا أنه نال السلطان من أبيه لأنه أعظم منه وغير مساو له.

فرد أثناسيوس.. يعنى أن الابن بولادته الأزلية من الأب قد ملك كل سلطان أو أنه قال ذلك بحسب كونى متأنسا لأنه فى إثر هذا القول ساوى نفسه بأبيه بقوله لتلاميذه عمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس.

فقال أريوس.. إن المسيح نسب ذاته لعدم معرفة ساعة الدينونة (يوم القيامة) بقوله لتلاميذه «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفهما أحد ولا ملائكة السماء إلا الرب وحده». فإذا كان الابن لايعرف وقت الدينونة فكيف يكون إلها؟

فرد أثناسيوس.. إن المسيح قال ذلك لتلاميذه لئلا يسألوه عن هذا السر الذى لا يجوز لهم أن يطلعوا عليه.. كما يقول صاحب السر.. لا أعلم هذه المسألة أى لا أعلمها علما يباح به لأن بطرس قال له.. يارب أنت تعرف كل شىء.

فقال أريوس.. إن المسيح قال أنا لا أقدر أن أصنع مشيئتى بل مشيئة من أرسلنى (يوه : ٣٠) فإذا هو عبد للأب ودونه.

فرد أثناسيوس .. إن المسيح تكلم فى مواضع كثيرة بحسب كونه إلها صار إنسانا كقوله «إن شئت فلتعبر عنى هذه الكأس».. وقال «إلهى.. إلهى.. لماذا تركتنى» وقال «إنى صاعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم».. وقال من «رآنى فقد رأى الأب».. وقال «أنا فى الأب والأب فى» وقال «وأنا والأب واحد».

وفى نفس الفصل الواردة فيه آية الاعتراض قال «كما أن الأب يقيم الموتى

ويحييهم كذلك الابن أيضا يحيى من يشاء ليكرم الجميع الابن كما يكرمون الأب».

وغير ذلك كثير من أقوال المسيح التى تصرح بمساواة لاهوته للاهوت أبيه فى الأزلية والعظمة والقدرة.

فقال أريوس.. إن يوحنا فى بشارته عن الابن قال «كل شىء به وبغيره لم يكن شىء مما كان» (١:٣) فهذا القول يدل على أن الابن إله استخدمه الأب لصنع الخلائق.. فالابن إذا ليس إلها خالقا».

فرد أثناسيوس.. إن الأب خلق بالابن أى بواسطة الابن الخالق كما يقال بنى الملك المدينة بابنه.. فالملك وابنه يعدان بانيى المدينة.. ولاسيما أن يوحنا صرح بلاهوت الابن وأزليته ومساواته لأبيه فى الجوهر والقدرة والإبداع فى بشارته وفى رسائله حيث قال «الذى كان منذ البدء الذى سمعناه الذى رأيناه الذى لمسته أيدينا» (أيو ١: ١) وأيضا «الشهود فى السماء ثلاثة الأب والكلمة والروح وهؤلاء الثلاثة هم واحد» (أيو ٥:٧).

واستمرت المناقشات الحامية لينهى أثناسيوس مناظرته بأنه إذا لم يكن المسيح والروح القدس كلاهما من مادة الأب فإن الشرك لابد أن ينتصر.. وقد سلم بما فى تصوير أشخاص ثلاثة فى صورة إله واحد من صعوبة.. ولكنه قال إن العقل يجب أن يخضع لما فيه الثالوث من خفاء وغموض.

وافق عدد كبير من الأساقفة إثناسيوس على رأيه فى سبيل الوصول إلى رأى واحد درءا للخلاف والفتنة التى وقع فيها العامة من أتباع المسيحية.. ومع ذلك لم يتفق الجميع على قاعدة واحدة ورفض سبعة عشر من أتباع أريوس التوقيع على ماعرف بعد ذلك بقانون الإيمان.. ورضى بعض مؤيدى أريوس على التوقيع معهم مقابل أن تستبدل كلمة «هموبوسيون» Homoiousion التى تعنى مماثلا له فى الجوهر والمقصود مماثلة المسيح لله فى الجوهر بكلمة همؤوسيون Homoousion أى من جوهر واحد أو مساو له فى الجوهر وتم رفض هذا التعديل الذى اقترحه أتباع أريوس.. وأصدر الإمبراطور قرار المجلس كالآتى:

«نحن نؤمن بإله واحد وهو الأب القادر على كل شىء، خالق الأشياء كلها ما

ظهر منها وما بطن وبسيد واحد هو يسوع المسيح ابن الله.. المولود غير المخلوق من نفس جوهر الأب.. وبأنه من أجلنا نحن البشر ومن أجل نجاتنا نزل وتجسد وصار إنسانا وتعذب وقام مرة ثانية فى اليوم الثالث وصعد إلى السماء .. وسيعود ليحاسب الأحياء والأموات».

وفى صيغة أخرى ذكرها القس منسى يوحنا فى كتابه تاريخ الكنيسة القبطية «إن قانون الإيمان الذى مازالت الكنيسة الأرثوذوكسية تتبعه حتى الآن جاء فيه «نؤمن بإله واحد الله الأب الضابط الكل الخالق السماء والأرض ما يرى ولا يرى.. نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور نور من نور إله حق من إله مولود غير مخلوق مساو الأب فى الجوهر الذى به كان كل شىء هذا الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس وصلب على عهد بيلاطيس النبطى تألم وقبر وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب وصعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه وأيضا يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات الذى ليس لملكه انقضاء».

انتهى المجمع بذلك القرار فى مسألة أريوس وبدا واضحا أن من لم يوقع على هذا القرار سيتم عقابه وحرمانه من منصبه فتناقص أتباع أريوس حتى صفى الأمر على اثنين سيكوندس أسقف بطليموسة وثيوناس أسقف مارمريكه إلى جانب أريوس الذى تمسك بعقيدته وفى الدفاع عنها إلى النهاية.. وقيل إن بعض الأساقفة أعلن موافقته عن التخلى عن عقيدة أريوس كحيلة.. من أجل أن يعودوا إلى مناصبهم ليتمكنوا من نشر المذهب الأريوسى بدلا من نفيهم وحرمانهم من مناصبهم مثل أسقف نيكوميديا.

خرج أريوس من المجمع وهو أشد تمسكا بدعوته ومذهبه حاملا معه حرمانه وأمرا بحرق كتبه وبتحذير أرسله المجمع إلى كنائس أفريقيا جاء فيه: «قبل كل شىء وقع البحث أمام الملك قسطنطين الكلى التقوى فى إثم أريوس ورفقائه وعدم تقواهم وحتم بصوت الجميع أن تعليمه العديم التقوى ليكن أثيما وهكذا أيضا

فلتكن أقواله وعباراته التجديفية التى استعملها لأنه قال مجدفا إن ابن الله من القدم وأنه وجد فى زمان لم يوجد فيه وقال إن ابن الله من تلقاء إرادته قادر على الفضيلة والرذيلة وقال إنه مخلوق وعمل فكل هذا حرمه.. والمجمع المقدس لا يطيق استماع هذا التعليم العديم التقوى أو بالحرى هذه السفاهة وهذه الأقوال التجديفية وقد سمعتم أو تسمعون ماذا جرى فى حقه لئلا نظهر نحن أننا تعدينا على إنسان أخذ استحقاق شره ولكن شره غلب بهذا المقدار حتى أدخل معه فى الهلاك ثيوناس المرمريكى وسيكوندس من عكا لأنهما حكم عليهما كما حكم عليه».

تم نفى أريوس وأتباعه إلى الليريكون (اليونان) وظل بها لفترة متمسكا بمذهبه منتظراً بصبر أن تحين اللحظة المناسبة ليعود إلى مسرح الأحداث مرة أخرى.. خاصة بعدما عاد عدد كبير من الأساقفة المؤيدين له والمعتنقين لمذهبه إلى مناصبهم مرة أخرى بعد أن تظاهروا برفضهم لعقيدة أريوس وهو أمر افتعلوه حتى يتمكنوا من المحافظة على مذهبهم.. وهو الأمر الذى تحقق بعد شهور قليلة من نفى أريوس.. وبمساعدة كونسطاسيا شقيق الملك التى يبدو أنها اعتنقت الأريوسية وأن دفاعها عن أريوس لم يكن مجرد تعاطف وإنما جاء كإنقاذ له.. وأتمت مهمتها بمساعدة أوسابيوس أسقف قيصرية عندما استدعت شقيقها الإمبراطور وهى على فراش الموت وأوصته خيرا بأريوس وأقنعه أسقف قيصرية ببراءته وأنه نفى ظلما.. فاقتنع الإمبراطور وأرسل يستدعى أريوس من منفاه واستمع إليه مرة أخرى ورضى عنه وأرسله إلى أساقفة أورشليم فاستقبلوه بحفاوة وتسلموا منه رسالة الإمبراطور ليستقر أريوس بينهم ويلتقط أنفاسه.. ويعيد تنظيم دعوته ويهتم بشئون أتباعه.. استعدادا للمرحلة القادمة خاصة بعدما مات البابا ألكسندر بطريرك الإسكندرية وتولى من بعده غريمه أثناسيوس الذى استعد لمواجهة أريوس بعد أن تناهى إلى سمعه رضاء الإمبراطور عن أريوس الذى استعاد قوته.. فى نفس الوقت الذى دعا فيه مجموعة من الأساقفة من أتباع أريوس إلى عقد مجمع للنظر فى أمر أريوس وعقد المجمع فى أنطاكية عام

٣٢٩م وحضره أوسابيوس أسقف نيكوميديا وثيوغيس أسقف نيقية وخرجت قرارات المجمع لتحكم بعزل بعض الأساقفة الأرثوذوكسية ثم أقروا بعودة أريوس إلى الإسكندرية ليعود إلى رتبته الكنسية ومعه توصية من الملك.

لم يقبل أثناسيوس بعودة أريوس مرة أخرى وأرسل رسالة إلى الإمبراطور يقول فيها «إنه لا يمكنه أن يقبل فى كنيسته رؤوس الهراطقة المحرومين من المجمع النيقاوى وأن الكنيسة عموما لاتقبل فى شركتها أناسا ينكرون ألوهية يسوع المسيح.

تلقى الإمبراطور قسطنطين رسالة أثناسيوس بغضب شديد فلقد شعر أن بطريرك الإسكندرية لايستجيب لأوامره وأن الخلاف بينه وبين أريوس تحول إلى خلاف شخصى فى المقام الأول.. خاصة بعدما أشاع أتباع أريوس أن أثناسيوس يفرض الضرائب الباهظة على المصريين ليجمع أموالا طائلة لكنيسته ويرسل منها جزءا لعدو قسطنطين فليومنوس الذى كان يضع مصر أمامه كهدف وينوى الاستيلاء عليها.. ولاقت تلك الاتهامات صدى لدى الإمبراطور فأرسل يستدعى أثناسيوس للتحقق من تلك الإدعاءات.. فلبى البطريرك النداء مكذباً كل الاتهامات أمام الإمبراطور فأعاده مرة أخرى إلى كنيسته بالإسكندرية.

ولم تنته المناوشات مابين أريوس وأتباعه وأثناسيوس الذى كان يحارب بقوة للاحتفاظ بالعقيدة الأرثوذوكسية .. فما كاد أثناسيوس يتخلص من الاتهامات الماضية حتى شن عليه الأريوسيون حربا شرسة وكرروا الاتهامات مرة أخرى فأحالها قسطنطين إلى شقيقه دلماتيوس ليحقق فيها.. مما استدعى رحيل أثناسيوس إلى أنطاكية ليفند الاتهامات ضده وقدم الأدلة على براءته وعاد إلى الإسكندرية مرة أخرى وعلق منشورات فى الإسكندرية تثبت براءته.

فى نفس الوقت كان أريوس مستمرا فى دعوته مدعوما بعدد كبير من الأساقفة فى عدة أماكن من الأرض.. وكان أثناسيوس يمثل عقبة حقيقية أمام أريوس وأتباعه فاستقر رأيهم بموافقة الإمبراطور على عقد مجمع تتم فيه محاكمة أثناسيوس ومواجهته بعدد كبير من الاتهامات.. ووافق الإمبراطور على عقد

المجمع فى مدينة صور عام ٣٣٤م وإن كان لم يستطع الحضور بنفسه فأناب عنه ديونيسيوس أحد كبار موظفيه.. وعندما علم أثناسيوس بموعد عقد المجمع رفض أن يحضر ولكنه اضطر لحضوره امتثالا لأمر الإمبراطور.

حضر أثناسيوس المجمع وكان يصحابه ثمانية وأربعون من رجال الدين والأساقفة وكان على الجانب الآخر عدد كبير من الأريوسيين ويرأس المجمع الأسقف الأريوسى أوسابيوس أسقف قيصرية.. وتوالت الاتهامات على أثناسيوس متهمين إياه باغتصاب راهبة وممارسة السحر وهدم كنائس معارضيه وحرق كتبهم.. ولم يستطع الأريوسيون إثبات هذه الاتهامات على بطريرك الإسكندرية فشكلوا لجنة تحقيق من ستة أساقفة أريوسيين توجهوا إلى مصر للتحقق من بعض هذه الاتهامات وأعدوا تقريرا حفل بكثير من الأقاويل وعادت اللجنة إلى الأساقفة المجتمعين فى صور وقدموا التقرير إليهم فحمل الأساقفة التقرير ورحلوا إلى أورشليم من أجل افتتاح كنيسة جديدة أقامها قسطنطين بها عام ٣٣٥م.. وفى أورشليم أعلنوا نتائج اتهاماتهم لأثناسيوس فى مجمع أورشليم وأعلنوا فيه تجريد أثناسيوس من درجة رئاسة الكهنوت وعزله عن الكرسى البطريركى السكندرى.

لم يستسلم أثناسيوس لقرارات المجمع.. وقرر أن يقاوم ويستمر فى الدفاع عن نفسه أمام سطوة الأريوسية الذين كانت أعدادهم تزداد مع الأيام.. فاصطحب معه خمسة من الأساقفة وسافروا من صور إلى القسطنطينية لمقابلة الإمبراطور الذى كان قد سئم الخلاف القائم مابين أريوس وأثناسيوس إلى جانب أن الأريوسيين كانت قد أصبحت عقيدة عدد كبير من عائلته فشقيقته كانت أريوسية وابنه قوسنطين كان قد أعتنق الأريوسية مما جعل الأمر شديد الصعوبة على أثناسيوس ولم يتمكن من مقابلة الإمبراطور لعرض شكواه.

وفشلت محاولات أثناسيوس فى لقاء الإمبراطور بشكل رسمى ولم يجد أمامه سوى اعتراض موكبه فى أحد الأيام وصاح به والجنود يدفعونه بعيدا عنه وطالبه بأن يستمع إليه وأن يحضر خصومه أمامه من أجل أن يناقشهم.. فاستجاب

الإمبراطور له وأرسل يستدعى أريوس.. والأساقفة الأريوسيين.. فلبى دعوة الإمبراطور الأسقف أوسابيوس النيكوميدى ومعه بعض الأساقفة.. وعادوا مرة أخرى ليقف الفريقان أمام الإمبراطور ليتهم الأريوسيون بطريرك الإسكندرية بأنه كان ينوى منع المراكب التى كانت تأتى من مصر محملة بالغلال التى كانت تدفع كضريبة إلى القسطنطينية.

أنكر البطريرك أثناسيوس تلك التهمة ودافع عن نفسه بقوة ولكن لم يمكنه الإمبراطور من الاستمرار فى الدفاع عن نفسه بعد أن شعر بأن ذلك الاتهام يعنى نوعا من أنواع التمرد على سطوته ونفوذه وسيطرته على مصر فانتابه الغضب الشديد فأصدر حكمه بنفى أثناسيوس إلى مدينة «تريف» التى كانت تقع فى جنوب فرنسا.. وامتثل البطريرك أثناسيوس إلى حكم الإمبراطور وتوجه إلى منفاه برفقة الأساقفة الموالين له..

كانت الأريوسية فى ذلك الوقت قد انتشرت انتشارا عظيما فى القسطنطينية وأنطاكية، وبابل، والإسكندرية، وأسيوط.. وهو الأمر الذى مهد لأساقفة الأريوسية بأن يطالبوا الإمبراطور بضرورة عودة أريوس إلى الإسكندرية المدينة التى كان يدور على أرضها النزاع والتى مثلت رمزا مهما فى تاريخ المسيحية فمن استطاع تطويعها.. قدر على فرض عقيدته..

عاد أريوس إلى الإسكندرية هذه المرة وهو منتصر ليحتفل بين أتباعه بجهود سنوات طويلة من أجل عقيدته التى حارب بها العقيدة المسيحية.. استقبله أتباعه بمظاهرات واحتفالات دامت عدة أيام مما أدى إلى حدوث اضطرابات هائلة فى المدينة وأنذرت عودته باندلاع حرب ما بين الأريوسيين وأتباع الكنيسة الأرثوذوكسية خاصة بعد أن حاول أتباع أريوس الاستيلاء على الكنائس التابعة لأثناسيوس.. مما جعل حاكم الإسكندرية يتدخل من أجل الحفاظ على أمن المدينة وطلب من أريوس الخروج منها والعودة إلى القسطنطينية.. كان أريوس قد بلغ الثمانين من عمره عام ٣٣٦ وتوافق ذلك مع عودته إلى الإسكندرية.. التى قيل إن وفاته كانت بها فى لحظات احتفاله بانتصاره وعودته إلى مدينته المفضلة.. وفى

قول آخر إن وفاته كانت بعد وصوله إلى القسطنطينية.. ولكن المؤكد أنه مات عام ٣٣٦م بعد حياة حافلة امتلأت بالصراع والكفاح من أجل معتقداته التى آمن بها وحارب من أجلها وتنقل ما بين البلدان ناشرا فيها دعوته ومذهبه الذى آمن بها.. ولم تكن وفاته نهاية لمذهبه ودعوته وإنما كانت بداية لعلو شأن مذهبه وأتباعه حتى أن الدعوة الأريوسية ظلت أكثر من ٣٠٠ عام بعد وفاته منتشرة وسائده فى مصر وفلسطين وأنطاكية والقسطنطينية وأسبانيا وبعض الولايات الجرمانية..

وساد الحزن بين أهالى مصر والإسكندرية.. وأتباع أريوس حزنوا حزنا شديدا على وفاته.. وأتباع أثناسيوس.. انتابهم الحزن والضيق والهم لنفيه وابتعاده عن كنيسته مما دفع بأتباع المسيحية الأرثوذوكسية إلى اللجوء والاستعانة بالقديس أنطونيوس أو كما أطلق عليه «كوكب البرية» ليخرج من عزلته ويأتى إليهم ليستنجدوا به بعد ما عرف عنه الصلاح والتقوى.. وكان انطونيوس أشهر راهب عاش حياته وحيدا متعبدا متأملا.. هائما بين الصحارى والوديان والجبال حتى استقر به المقام على جبل قريب من البحر الأحمر تفرغ فيه للعبادة والتقرب إلى الله لم يعرف المدن ولا أهلها.. حتى استغاث به أهل الإسكندرية طالبين عونه من أجل عودة أثناسيوس إلى كرسيه مرة أخرى.

استجاب أنطونيوس إلى دعوتهم وعاد إلى الإسكندرية وعمره تسعون عاما ليتوسط لدى الإمبراطور من أجل عودة أثناسيوس.. فكتب له رسالة بهذا المعنى ولم تأت الرسالة بفائدة بل عكس رد الإمبراطور موقفه الصارم تجاه أثناسيوس وعدم رضائه عنه خاصة بعد أن وصفه بأنه رجل «جسور ومتكبر وغشاش» لم تنجح وساطة كوكب البرية.. وازداد الأمر سوءا بعد وفاة قسطنطين. وانقسام مملكته ما بين ولديه قسطنطين الأول الأريوسى والذى كان من نصيبه حكم الشرق وقسطنطين الثانى الأرثوذوكسى حاكم الغرب.

وكان أول ما سعى إليه قسطنطين الثانى هو إعادة أثناسيوس مرة أخرى إلى الإسكندرية وهو ما تحقق بالفعل فى عام ٣٧٨م.. وعاد أثناسيوس ومعه عدد من

الأساقفة الذين رافقوه فى منفاه إلى الإسكندرية بعد أن غاب عنها عامين وأربعة أشهر واستقبله أتباعه بفرح شديد وعاد إلى كرسيه.. ولكن لم تكن عودته نهاية الصراع.. وإنما كانت مرحلة هامة فيه.. فأتباع الأريوسية الذين كانوا قد قويت شوكتهم باعتناق قسطنطين الأول المذهب الأريوسى وتعيين «أوسابيوس» أسقف نيكوميديا بطريركا على القسطنطينية.. لم يرضوا عن أثناسيوس.. وتحينوا الفرصة الملائمة فقاموا بعقد مجمع فى أنطاكية عام ٣٤٠م حكموا فيه بعزل أثناسيوس بابا الإسكندرية وتعيين «بسطس» بدلا منه وهو واحد من أتباع أريوس المخلصين الذين رافقوه من بداية دعوته..

تم إرسال قرار مجمع أنطاكية إلى أسقف رومية.. الذى أرسل بدوره خطابا إلى البابا أثناسيوس مصحوبا بالشكوى التى قدمها ضده الأريوسيون والتى تتضمن أن عودته إلى كرسى الإسكندرية باطلة لأن عودته لم تأت بقرار مجمع..

ما إن وصل رسل أسقف رومية إلى الإسكندرية حاملين الرسالة حتى أثارت لغطا وضيقا.. دفع البابا أثناسيوس إلى عقد مجمع حضره الأساقفة المؤيدون له من أجل رسالة أسقف رومية واتفقوا على ضرورة الرد بإظهار براءة أثناسيوس من التهم التى وجهت إليه وإبلاغ أسقف رومية بأن أتباع الأرثوذوكسية متمسكون بالبابا «أثناسيوس» وأوضحوا فى ردهم «أن الغرض الوحيد الذى يرمى إليه أوسابيوس أسقف القسطنطينية هو تعميم بدعة أريوس ونشرها فى مصر».

ورأى البابا أثناسيوس ضرورة توضيح الأمر إلى جميع الأساقفة فى العالم.. فأرسل إليهم الخطابات التى تشرح موقفه وأن ما يحدث ليس له ظل من الحقيقة ولا يسانده قانون.. واحتكم إلى كونه بابا للإسكندرية وأى قرار يتعلق به لابد أن يصدر من مجمع عالمى ولا يحق للمجامع الأريوسية أن تقاضيه أو تحاكمه» عندما تسلم أسقف رومية رد بابا الإسكندرية بادر باقتراح عقد مجمع يتم فيه فحص الشكاوى المتبادلة ما بين الفريقين حتى تنتهى الخصومة بينهما وهو أمر كان يتطلب موافقة قسطنطين الأول الأريوسى وقسطنطين الثانى الأرثوذوكسى.. وتدخل القدر.. وقتل قسطنطين الثانى.. فعاد الأمر كله إلى الإمبراطور الأريوسى

الذى عقد مجمعا عام ٣٤١م حضره بنفسه ورأسه أوسابيوس أسقف القسطنطينية تم فيه التأكيد على عزل أثناسيوس وتعيين «غريغوريوس الكبادوكى» الأريوسى بابا للإسكندرية.

تسلم بابا الإسكندرية الأريوسى مهام منصبه الدينى الرفيع.. يعاونه فى ذلك والى الإسكندرية «فيلاغريوس».. الذى أجهض أى محاولة من الأرثوذوكسية للاعتراض على تعيين البابا الجديد فى نفس الوقت الذى تسلم فيه «غريغوريوس» كنائس الأرثوذوكسية.. وأصبح القبض على البابا أثناسيوس هدفا هاما فاستمر البحث عنه أياما طويلة.. والبابا يختبئ فى مكان خفى داخل كنيسة القديس «ثاؤنا» وهى الكنيسة التى كان يصلى فيها وبها مسكنه.. وعندما اقترب منه أعداؤه هرب بمساعدة أعوانه وأتباعه واختبأ فى منازل بعضهم ليستعد للجولة الجديدة فى الصراع الدامى ما بين أتباع أريوس.. وبينه..

وتفرغ البابا الأريوسى الجديد لتنظيم أحوال مدينته الجديدة ورعاياه.. فطارد أتباع أثناسيوس.. وأوقف الكثير من طقوس الأرثوذوكسية.. ونشر الكثير من الاتهامات ضد أثناسيوس، الذى كان مطاردا مطلوبا القبض عليه.. فلم يجد أمامه سوى الخروج من الإسكندرية قاصدا روما من أجل عقد مجمع يبحث فى المشكلة التى ازدادت تعقيدا مع الأيام.. وحرص قبل خروجه على كتابة رسالة إلى أتباعه يحثهم فيها على التمسك بالإيمان الأرثوذوكسى.. كتب أيضا إلى كل أساقفة العالم حدثهم عن الظلم الواقع عليه وعلى أتباعه.. وهو ما دفع الأريوسية إلى اتخاذ موقف مشابه فسارعوا بإرسال الخطابات إلى الأساقفة فى كل أنحاء الأرض.. واختصوا من شعروا بأنه متعاطف مع أثناسيوس فطالبوهم بقطع كل علاقة به وكان من ضمنهم «يوليوس» أسقف رومية الذى سارع بإرسال خطاب إلى أثناسيوس يطلب منه أن يختار مكانا مناسبا لعقد مجمع فأجابه أثناسيوس باختياره «لرومية» مقر أسقفية يوليوس ولم يكتب لهذا المجمع أن ينعقد رغم الدعوة لها وأقيم بدلا منه مجمع فى أنطاكية حضره ٧٩ أسقفا كان معظمهم من الأريوسية.. وأصدروا فيه قرارا يؤيد حرمان وتجريد أثناسيوس من منصبه

الدينى..

وأقام أثناسيوس فى رومية تحت رعاية أسقفها بعد أن أصبحت العودة إلى الإسكندرية أمرا محفوفا بالمخاطر.. وظل أثناسيوس منفيا برومية فترة حتى أصدر الإمبراطور «قسطنت» قيصر الغرب الأرثوذوكسى قرارا بعقد مجمع جديد عام ٣٤٥م.. اشتدت فيه الخلافات وتشعبت لتمتد إلى سلطة الأساقفة الغربيين والشرقيين على الكنيسة لتزداد الأمور تعقيدا بين قرارات الحرمان المتبادلة بين الجانبين.. وبدا أن الأمور لابد أن تصب فى النهاية فى ملعب السياسة بعد أن اتفق الشريكان.. الإمبراطور الأريوسى.. ونظيره الأرثوذوكسى على ضرورة وضع حد لكل هذه الخلافات بالسماح لأتباع المذهبين بممارسة شعائرهما وطقوس المذهبين فى الإسكندرية.. فى حين تمسك الأريوسية بضرورة خلع أثناسيوس وبعدم عودته إلى الإسكندرية مرة أخرى.

وسمح الإمبراطور لأثناسيوس بحرية السفر والخروج من أنطاكية مقر اللقاء بينهما.. فتوجه أثناسيوس لأورشليم للإقامة فيها تحت رعاية أسقفها.. منتظرا أن تتبدل الأمور وهو ما حدث بالفعل بعد مقتل البابا الأريوسى غريغوريوس بالإسكندرية.. مما دفع أثناسيوس للتأهب للعودة من جديد وإن كان قد تمهل عدة شهور حتى تهدأ الأمور.. وعاد أثناسيوس واستقبله أتباعه بفرحة غامرة حتى أن بعض المؤرخين شبهوا عودته إلى الإسكندرية بدخول المسيح إلى أورشليم كملك.

وتفرغ البابا أثناسيوس بعد عودته لتنظيم أمور رعيته.. وبذل جهودا هائلة لمكافحة ومحو مذهب أريوس.. متخلصا فى أثناء ذلك من الأساقفة ورجال الدين الأريوسيين واستمرت جهوده ثلاث سنوات منذ عودته فى عام ٣٤٧م إلى عام ٣٥٠م.. العام الذى تبدلت فيه الأحداث مرة أخرى.. ليعود الصراع على أشده ما بين الفريقين..

ست سنوات كاملة كان البابا الذى يحكم الكنيسة المصرية أريوسى المذهب.. حتى عودة البابا أثناسيوس.. الذى لم تستمر حالة الهدوء معه أكثر من ثلاث سنوات عاد بعدها للدفاع وبقوة عن الإيمان الأرثوذوكسى أمام الأحداث الجديدة..

التى بدأت بمقتل الإمبراطور الأرثوذوكسى قسطنت على يد «مانياس» الجرمانى الذى استولى على مملكة قسطنت وتطلع للاستيلاء على نصف المملكة الآخر الذى يحكمه الإمبراطور قسطنطين الأريوسى.. الذى استشعر الخطر الشديد من نجاح «مانياس» مما جعله يحشد الحشود للدفاع عن مملكته.. ووسط كل هذه الأحداث عاد الأريوسيون للظهور بقوة وانتهزوا فرصة مقتل قسطنت حامى أثناسيوس أكثر المدافعين عن الأرثوذوكسية ليوعزوا إلى قسطنطين أن مقتل أخيه عقاب من الله لمساندته لأثناسيوس ومذهبه الذى اعتبره مخالفا لصحيح الدين.. ولم يلتفت الإمبراطور كثيرا فى تلك الأثناء إلى أمر هذا الصراع الدينى.. فكل ما كان يشغله هو الدفاع عن ملكه المهدد من عدوه «مانياس» الذى استطاع فى نهاية الأمر أن يهزمه ويستقل بالملك.. ليتفرغ مرة أخرى إلى محاربة أثناسيوس فعقد مجمعا فى فرنسا كانت قراراته تنص على حرمان وخلع أثناسيوس من منصبه وهو الأمر الذى وصل إلى والى مصر.. مصحوبا بقرار شفهى من الإمبراطور بنفى أثناسيوس وتحويل الغلال والحبوب التى كانت تمنح لفقراء الأرثوذوكس إلى كنائس الأريوسية.

وعاد البابا أثناسيوس للاختفاء من جديد.. هاربا من أعدائه الذين يسعون خلفه.. فاختبأ فى الكنائس والبرارى والصحارى وبين الرهبان فى نفس الوقت الذى يبحث عنه الأريوسيون فى كل مكان.. وللمرة الثانية وصل إلى كرسى البابا فى الإسكندرية.. بطريرك أريوسى يسمى «جورجيوس» حارب الأرثوذوكسية بكل قوة.. وتلا ذلك عقد مجمع فى فرنسا وضع قانونا للإيمان حذف فيه كلمة الجوهر التى تم إقرارها فى المجمع النيقاوى الشهير ليتم إقرار دعوة أريوس به وليصبح «الأب أعظم من الابن فى الرتبة والمجد» قابله مجمع آخر عقده الأرثوذوكسيون أكدوا فيه على الإيمان الأرثوذوكسى واستمرت الأريوسية هى المذهب السائد فى الإسكندرية ومعظم بلدان العالم حتى مات الإمبراطور قسطنطين الأريوسى وتولى من بعده الإمبراطور يوليانوس الملحد.. الذى أعاد عبادة الأوثان مرة أخرى.. ومع كرهه الشديد للمسيحيين بصفة عامة إلا أنه أمر

بإعادة كل رجال الدين الأرثوذوكس إلى مناصبهم بعد وفاة قسطنطين أملا فى أن يتكفل الصراع ما بين جميع الأطراف فى القضاء عليهم جميعا خاصة بعدما قتل البابا الأريوسى جورجيوس.. مما مهد الطريق أمام أثناسيوس للعودة إلى الإسكندرية مرة أخرى.. الذى ما كاد يبدأ فى إصلاح الكنيسة وجمع شتات رجال الدين الأرثوذوكسى حتى انقلب عليه الإمبراطور الوثنى بعدما تناهى إليه دخول عدد من النساء الوثنيات اليونانيات إلى المسيحية.. فأرسل خطابا إلى الوالى يطالبه فيه بالتخلص من البابا أثناسيوس وطرده من مصر كلها وكشفت كلمات الرسالة عن شدة عداء الإمبراطور لمن خالف عقيدته الوثنية فهدد الحاكم قائلا له «مع أنك مهمل كثيرا فى أن تكتب لى عن مسائل متعددة وأنا أغض عن هذا الإهمال إلا أنه كان يتحتم عليك أن تخبرنى عن تصرفاتك مع أثناسيوس عدو الآلهة.. وكاره الأوثان وأنت تعلم حقيقة مقاصدى ضد هذا الرجل الذى أخبرتك عنه من زمن مضى وعليه فإنى اعتصم بالإله سيرابيس العظيم أنه إن لم يبرح أثناسيوس الإسكندرية بل القطر المصرى فى أوائل شهر ديسمبر فإنى أغرم جميع موظفى حكومتك غرامة قدرها ١٠٠ رطل ذهب قصاصا لهم وأعلم أنى بطىء العقاب ولكنى بطىء العفو والصفح».

وفر أثناسيوس هاربا حتى قتل الإمبراطور يوليانوس عام ٣٦٣م وتولى من بعده الإمبراطور «يوبيانوس» الذى أشاع التسامح بين الأديان والمذاهب وسمح للجميع بحرية اختيار الدين والعبادة.. فعاد أثناسيوس مرة أخرى إلى الإسكندرية ليواجه الأريوسيين.. ولم تستمر الهدنة هذه المرة أكثر من سبعة أشهر ومات الإمبراطور «يوبانيوس».. لينقسم العالم بعد ذلك بين شقيقين أحدهما «والتنيوس» الذى حكم الغرب وشقيقه «فالنص» الأريوسى الذى حكم الشرق ليأمر فور جلوسه على العرش الإمبراطورى بنفى جميع الأساقفة الأرثوذوكس وهرب أثناسيوس.. واختبأ بعد أن أصبح مطلوبا القبض عليه.. مما تسبب فى اضطرابات هائلة قام بها أتباعه حتى أصدر الإمبراطور أمرا بعودته إلى منصبه الدينى الذى ظل به خمس سنوات حتى توفى عن عمر يقارب الـ٧٧عاما قضى منها معظم سنوات عمره

يحارب أريوس نفسه ومن بعده مذهبه.. الذى استمر سنوات طويلة.. ليخبو.. ثم يعود حتى أيامنا الحالية وهو مذهب مازال يدين به كثيرون فى مختلف دول العالم تحت أسماء ومسميات مختلفة تتفق جميعا على إنكار ألوهية المسيح واعتباره رسولا مرسلا من عند الله.. وأكثرهم نشاطا وظهورا أصحاب مذهب «شهود يهوه» الذى يصفه بعض رجال الدين المسيحى الآن.. أن «أريوس» نفسه لو كان مازال على قيد الحياة لتبرأ منهم ومن معتقداتهم.